المصدر: الاهـرام الاقتصـادى

التاريخ : ١٩٩٥/٤/١٧

السادات .. الزعيم المفترى عليه

سيظل السادات رغم كثرة ماكتب عنه يمثل علامة استفهام كبيرة لضراوة المعارك التى خاضها، ولكثرة المواقف التى صادفها، ولغرابة القرارات التى اصدرها، ولتنوع المناصب التى تولاها من سائق وتباع فوق سيارة نقل إلى شيال إلى ضابط الى رئيس مجلس الأمة إلى رئيس جمهورية!

لقد كان السادات شخصية محيرة بكل المقاييس، فعلى حين بدأ عهده بفتح السجون والمعتقلات وإطلاق سراح الحرية من قيودها، والتسامح مع من هاجموه فى صحف ومجلات الحائط فى الجامعة والعفو عنهم جميعا إلا أنه انهى حياته بجمع صفوة المجتمع السياسى من جميع الاتجاهات والتيارات السياسية وأودعهم السجن فيما عرف باعتقالات سبتمبر الشهيرة.

كما أن السادات تولى الحكم وهناك هزيمة موجعة عصفت بالعقول من هول فداحتها، ولكنه استطاع أن يحول الهزيمة إلى نصر فى ست ساعات فى مفاجأة اذهلت أقرب المقربين إليه فى وقت يأس الجميع من ان نطلق طلقة واحدة على العدو.. اما هول المفاجأة على إسرائيل نفسها فكان رهيبا لدرجة أن وزير الحرب الاسرائيلى لم يصدق مايحدث.. وقال عبارته الشهيرة:

«معقول المصريين يحاربون؟»

وكان نصر اكتوبر اكبر انتصار حرب بكل المقاييس الحربية.

وحين نقل التليفزيون المصرى على الهواء مباشرة وقائع زيارة السادات للقدس لم يصدق معظم المصريين ما يحدث!! واعتبر بعضهم أن السادات قد أصابته لوثة عقلية، على حين اعتبر الآخرون انها خيانة قومية، ولكن بعد مرور ١٧ عاما اليوم على هذه الزيارة اختلفت الرؤية، وثبت أن السادات

كان سابقا لعصره، وأن قضية السلم كانت هدفا لم ينجح من كانوا يعارضونه وقتها فى أن يحققوه حتى الآن بالمزايا التى كان السادات يبغى تحقيقها، وأن من عارضوه قبلوا الآن أقل مما عرضه السادات وقتها!

ولكن يبدو من عيوبنا كمصريين أننا حين نعشق لانرى عيبا واحدا فيمن نعشق، وحين نكره لانرى حسنة واحدة فيمن نكره. ولكن أصدق مثل شعبى يفى بهذا المعنى:

«حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط!!»

وبالتأكيد فإن الأمثلة الشعبية أصدق دليل على مشاعر وعواطف الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، ولأننا شعب عاطفى فنحن نكره ونحب لأتفه سبب، ومن السهل أن تتغير مشاعرنا بين يوم وليلة، وتلك النظرة انعكست بلاشك على نظرتنا لزعمائنا منذ أقدم العصور، فنحن إما نراهم جبالا شامخة أو آبارا سحيقة!

إما عظيما وإما صعلوكا!.. إما زعيما له كل الحسنات والمزايا وإما حقيرا تحف به السلبيات والأخطاء!.

ولاشك أن غياب النظرة الموضوعية للسادات قد جرفت كثيرا من الحقائق وطمست كثيرا من المزايا والايجابيات.. لكن مهما حاول البعض أن يطمس الحقيقة أو يطمرها تحت الأرض السحيقة فإنها لابد أن تظهر يوما لمن يحاول أن ينقب فى حفريات التاريخ!

والبعض يرى أن المرحلة الأولى من حكم السادات كانت امتدادا للحقبة الناصرية، ولكن سرعان ما

ظهرت ملامح شخصية السادات السياسية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ وقد تمثلت فى اربعة توجيهات جـــديدة، أولـهـــا: الانفتاح الاقتصادى، والحقيقة أن سياسة الانفتاح التى انتهجها السادات قد أوجدت طبقة من المليونيرات المصـــريين من الحرفيين دون أى سند حـــضـــارى، فحقق البعض منهم طفرة مالية كبيرة ارتفعوا بها فوق الطبقات المثقفة فانقلب الهرم الثقافى، لأن المنتجين فى كل المجالات الاعلامية انساقوا وراء توجهاتهم المزاجية لجذب الأموال!! وهذا فى حد ذاته أضعف الثقافة المصرية كثيرا!! كما أن فترة الانفتاح وسياسته فشلت فى الوقت نفسه فى التغلب على معاناة الفقراء فازدادوا فقرا!

وأذكر فى حوار مع محافظ القاهرة اللواء عمر عبدالآخر مؤخرا فى ندوة اكتوبر.. اكد المحافظ بصراحة يحسد عليها أن فترة الانفتاح كانت السبب الرئيسى فى مشكلة السكان الآن، وأن ظاهرة التمليك واختفاء لافتة «شقة للايجار» نهائيا كان بسبب جشع بعض التجار فى فترة الانفتاح!!

والحقيقة أن سياسة الانفتاح قد أدت الى أن يصبح بعض من الشعب المصرى من أغنى شعوب المنطقة، على حين اصبحت الحكومة المصرية افقر حكومة

فى المنطقة فقد عجزت الحكومة المصرية عن تحصيل الضرائب من التجار الذين كانوا يكسبون دون أن يعرف أحد بالتحديد حجم مكسبهم... وقد أصبح البعض منهم من أغنى الأغنياء فى فترة وجيزة للغاية!!

وقد أصبح بسياسة الانفتاح دخل الطبقة الحرفية أكبر بكثير من دخل الطبقة المثقفة والجامعية، وقد جرى العرف فى المجتمع المصرى على أن يكون الحرفى فى وضع أدنى!. كما ازداد فى عصر الانفتاح حجم الفساد فى مصر الذى أصبح يزكم الأنوف من رائحته الكريهة!

فى يوليو ١٩٧٢ فجر السادات قنبلة دبلوماسية ذات صدى كبير بقراره إبعاد المستشارين السوفيت الذين اعتمدت عليهم القوات المسلحة العسكرية.

وقد تردد أن السادات فعل ذلك من منطلق شعوره بأن عبدالناصر قد فشل لأنه حاول التغلب على الولايات المتحدة.

وقد أثبتت سنوات مابعد اغتيال السادات أنه كان على حق فيما يتعلق بإبعاده للمستشارين والخبراء السوفيت، فقد كفر السوفيت أنفسهم بسياستهم، ولم يكن طرد السادات للسوفييت انحيازا للغرب كما يردد البعض، ولكن الهدف كان هو التمهيد للهرب بتحرير العسكرية المصرية لأن وجودهم على أرضنا كان عنيفا من شحن الحرب ضد إسرائيل.

ولاشك أنه بمقتضى معاهدة السلام فإن مصر استعادت الأرض التى احتلتها اسرائيل فى سيناء فى حرب يونيو ١٩٦٧، وكان اخرها طابا التى استردتها فى ١٥ مارس ١٩٨٩.

وقد تأكد السادات أن الصراع العربى

الاسرائيلى لم يعد يحسم بالقوة، وانه آن الأوان أن يحل بالسلام، لأن البلد لا تحتمل حروبا بكل آثارها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولقد فتح السادات نوافذ حرية الرأى فى الصحافة المصرية، ولكن عيب السادات الوحيد فى الصحافة أنه لم يفرق فى علاقته بكبار الصحفيين والكتاب بالعلاقة الخاصة، وبين تمسك هؤلاء الصحفيين بمبادىء العمل الصحفى، فحين ساءت العلاقة بينه وبين بعضهم فكر فى إبعادهم عن الصحافة نهائيا، وكان منهم ثلاثة من أقطاب الصحافة المصرية: مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصى وأمينة السعيد.

ولكن حين نبهه أحد المقربين منه إلى خطورة الفعل فى حالة فصل الثلاثة الكبار تفتق ذهن أحد كبار الصحفيين المقربين من السادات الى فكرة خبيثة وحيلة ماكرة لكى يتخلص السادات من الثلاثة الكبار بضربة واحدة وهى صدور قانون يحدد سن المعاش عند الستين ويكون بمثابة نهاية المطاف لتولى عمل قيادى فى الصحافة المصرية!

ومن مفارقات الأيام أن هذا القانون نفسه كان اول من طبق على صاحب الفكرة الخبيثة بعد اغتيال السادات

ولا أحد ينكر أن السادات كان أول من أعاد مناخ الحرية بعد غياب طويل، ولكن عيب السادات الحقيقى أنه كان يغضب كثيرا من أى كلمة نقد توجه إليه فى السنوات الأخيرة، مما أضاع كثيرا من رصيده الكبير فى بداية حكمه الذى امتاز بحرية الرأى والديمقراطية.

ففى السنوات الأخيرة غضب السادات من مصطفى أمين خاصة مقاله «فكرة» الشهيرة

الخاصة بهرولة أعضاء مجلس الشعب للانضمام إلى الحزب الوطنى الذى يرأسه السادات هروبا من حزب مصر الذى أسسه السادات وتركه لممدوح سالم!

ومنع السادات من نشر فكرة بعد ذلك إلى أن كان يوم فرح ابن السادات والتفاف كبار الكتاب حوله لعودة مصطفى أمين إلى الكتابة مرة ثانية.

وإذا كان السادات قد أخرج مصطفى أمين من السجن ثم أخرجه بعد ذلك من رئاسة تحرير أخبار اليوم، فإن السادات نفسه كان قد عرض على مصطفى أمين بعد خروجه من السجن أن يتولى مجلس إدارة أخبار اليوم ولكنه رفض وقال للسادات بالحرف الواحد:

إن السنوات التى أمضاها داخل السجن جعلته لا يفكر فى تولى أى منصب قيادى فى الصحافة!!

وأن يكتفى بكتابة عموده اليومى «فكرة» فقط!!

وبعد إلحاح من السادات تولى مصطفى أمين رئاسة تحرير الأخبار لمدة عام واحد فقط!

وكما حدث مع مصطفى أمين حدث أيضا مع إحسان عبد القدوس، ولا أنسى عبارة قالها لى إحسان عبد القدوس بين الاغتيال السياسى والشغب الجنسى».

قال إحسان عبد القدوس: لقد صارحت أنور السادات بأنه لابد ان يحكم الشعب بجانب الجيش.. وأن هذا هو رأيى فقال له السادات:

عظيم هذا هو رأيك

طيب ما تكتبه يا إحسان!

وفى نفس اليوم أخرج السادات إحسان عبد القدوس من رئاسة مجلس إدارة الأهرام!!

هذا رغم أن السادات فى الفترة التى كان مبعدا فيها من الجيش بأمر السلطات البريطانية فى مايو ١٩٤٥ دخل على إحسان عبد القدوس فى مجلة روز اليوسف وكان معه وقتها زميله وصديقه الطيار حسن عزت، وكان يحمل مقالتين عن دور الضباط والجنود المصريين من ضباط المدفعية المضادة للطائرات فى حماية البلاد من الطائرات المعادية، وكان وقتها إحسان عبد القدوس رئيسا لتحرير روزاليوسف وتسلم من أنور السادات المقالتين ونشرهما دون حذف أية كلمة!!

يتحدث المهندس سيد مرعى فى

أخطر حوار قبيل رحيله وهو حوار مسجل.. حول تاريخ السادات وسياسته الداخلية والخارجية منذ أن تولى الرئاسة وحتى مصرعه فى المنصة.

والمهندس سيد مرعى كان من أقرب المقربين للرئيس السادات ليس فقط لأنه صهره، ولكن ايضا لأنه كان يشغل أخطر المناصب فى عهده وهو رئيس مجلس الشعب.

ويجيب سيد مرعى عن تساؤلات خطيرة حول الرئيس السادات.

ولقد كان قرار السادات فى ٥ سبتمبر باعتقال صفوة من الرموز السياسية والدينية المصرية قرارا تعسفيا بكل المقاييس وهو من أخطر القرارات التى أصدرها السادات وراهن بها قبيل اغتياله على تاريخه السياسى كله.. فقد أثر هذا القرار على شعبية السادات تماما.. ويبدو أن الصراعات التى

واجهها السادات فى نهاية عهده قد أثرت على أعصابه وجهازه النفسى والعصبى، فكأنما كان السادات يحمل أعصابه فوق جلده.. وقد ظهر واضحا فى لغة الخطاب فى خطاباته الأخيرة على الشعب مدى العصبية التى اجتاحته وأثرت فى نفسيته، فجمع الحابل على النابل فى قفص واحد فى قرار ديكتاتورى، رغم أن السادات قد اكتسب من قبل شعبيته من خلال أنه فتح ولأول مرة نوافذ الحرية على مصراعيها فى بداية عهده، وسمح للتعددية الحزبية لأول مرة فى عهد الثورة بالتواجد على الساحة السياسية إلا أنه قد شطب من أذهان الشعب كل هذا بجرة قلم حينما وقع على قرار اعتقالات ٥ سبتمبر.

وشعبنا دائما ما يوصف بأنه لا ذاكرة له..

فإنه سرعان ما ينسى..!

فلو أن لاعبا أجاد طوال المباراة وتسبب

فى الدقيقة الأخيرة فى إصابة مرماه بهدف

فإن الجماهير تنسى كل مجهوداته

طوال المباراة وتخرج ناقمة عليه لأنه أهمل فى الوقت الضائع! وإذا كان ذلك يحدث بالنسبة للاعب كرة فما بالنا برئيس جمهورية يجب أن يكون فى

نظر الشعب الهاً لا يخطىء.. وجل
من لا يخطىء..

ويبقى هناك تساؤل يفرض نفسه:

- ***ماذا لو مات السادات موتا طبيعيا فى أعقاب حرب أكتوبر؟ ماذا سيكون شكل جنازته فى هذه الحالة؟***

بالتأكيد كانت ستكون جنازة شعبية صادرة من قلوب الشعب.

ولماذا إذن كانت جنازة السادات هزيلة لا تتفق وتقدير العالم للسادات...؟

ولماذا خامر الشعب إحساسا بعدم الحزن الحقيقى على السادات فى أعقاب اغتياله..؟

حقيقة اشترك فى جنازته ولأول مرة من أمريكا ـ فى جنازة رئيس دولة أجنبية يشارك ـ ثلاثة رؤساء

من أمـريكا فـضـلا عن ٨٠ رئيس دولة من دول العالم.

ورغم ان الجنازة كـانت مـحـاطة بالأمن ومتـاريس حديدية واقتصرت على عدد محدود من المشيعين لتقديم العزاء للمسئولين وقتها وببطاقات من الأمن، إلا أن الشـعب المصـرى لم يشـارك مشـاركة فعلية حقـيقـيـة ولم نر دموعـا مـدرارة ولا تشنجـات ولا إغماءات ولا طقوسا جنائزية مثلما حدث فى جنازة عبد الناصـر التي وصـفت بأنها بحـر مـتـلاطم من البشر.

مـا الذى حـدث بالنسـبـة للسـادات فى الفـتـرة الأخيرة من حكمه؟.. هل كـانت قرارات اعـتقـالات سبتمبر سببا فى تراجع مؤشر شعبية السادات؟

وإذا كـان أقـرب المقـربين من الرئيس السـادات كـانوا يؤكدون انه كـان سـيـفرج عن المعـتقلين فى أبريل بمناسبة تحرير سيناء.

إلا أن ذلك كله اكـد ظاهرة خطيـرة لدى الشـعب المصرى ألا وهى سوء التقدير لزعمائه ورؤسائه.

محمود فوزى